

# الوثيقة

دورية تاريخية محكمة

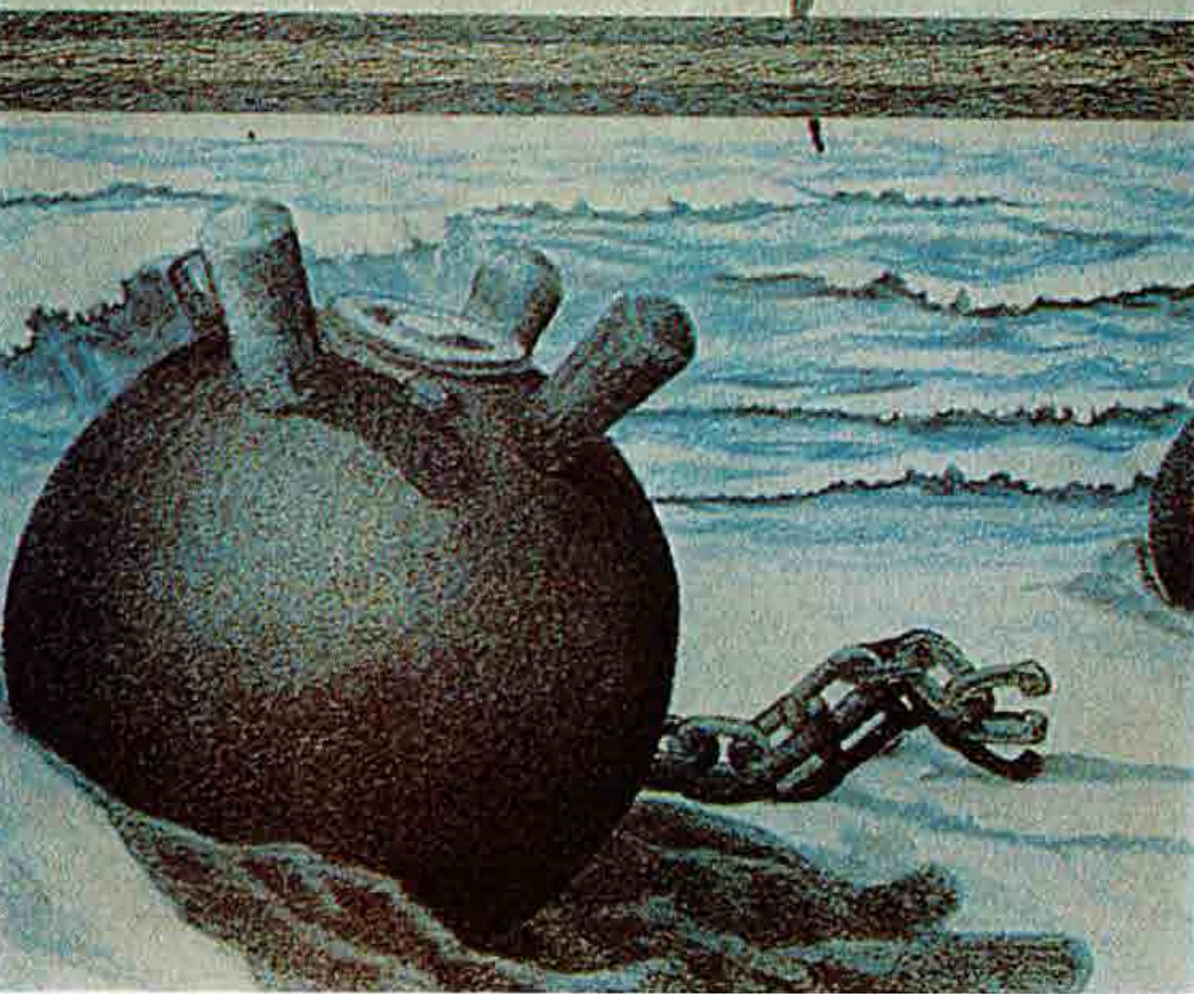
يتمدها

مركز الوثائق التاريخية

بداولة البحرين

العدد الثامن عشر - السنة التاسعة

جمادي الآخرة ١٤١١هـ - يناير ١٩٩١م



## أولاً - تمهيد عام :

قامت بلاد الخليج العربي منذ عصور مبكرة بدور الوسيط في العلاقات التجارية بين بلاد الشرق العربي ( ارض الرافدين والجزيرة والشام ) من جهة وبين الساحل الغربي لشبه القارة الهندية . ففي الوقت الذي ازدهرت فيه مراكز العمران المدني في بلاد الشرق العربي القديم بين بلاد البحر الاعلى ( المتوسط ) وبلاد البحر الادنى ( الخليج ) منذ الالف الرابع ق . م ، كانت قد بدأت تظهر تباشير حضارة اخرى في حوض السند ( الهندوس ) ، في الشمال الغربي من شبه القارة الهندية . وقد عرفت هذه الحضارة في الالف الثالث باسم حضارة هراپا<sup>(١)</sup> ، التي كانت معاصرة لسومر وَاكاد وديلمون .

وفي كتاب صدر حديثاً ، يبرز اثنان من الباحثين ( أ . عناني و ك . ويتنغام ) خلاصة النتائج التي توصلت اليها البحوث الاثرية والتاريخية وهي تؤكد على وجود دلائل واضحة على قيام عمران مدني وحضارة مزدهرة في سلسلة من المواقع على طول الساحل العربي من الخليج في فيلكة ( الكويت ) وفي الأحساء ، موقع جرهما في ( العربية السعودية ) وفي ديلمون ( البحرين وقطر ) وفي أم النار والعين وجلفار

( رأس الخيمة ) في دولة الامارات العربية المتحدة ، وفي عمان ماجان / مغان<sup>(٢)</sup> . ولاشك ان هذه الخلاصة المكثفة هي محصلة نتائج بحوث كثيرة لعلماء عرب وأجانب ، نشرت بحوثهم عن هذه المراكز الحضارية التي اضحى من الواضح انها شهدت منذ الالف الثالث ق . م . ملامح حضارية مادية وثقافية مشتركة متصلة بالثقافة المبكرة في بلاد الرافدين في عصري العبيد وجمدة نصر .

ومنذ قيام الدول الرافدية المتعاقبة من العصر السومري القديم الى الالف الاول ق . م . ظلت المراكز الحضارية في الخليج العربي تؤدي دور الوسيط التجاري والعامل الحضاري الفعال بين عالمي المحيط الهندي والبحر المتوسط عن طريق دول الرافدين والشام .

وقد اثبتت الوثائق السومرية والأكادية وجود علاقات مع ديلمون وماجان / ماغان ومع بلاد بعيدة ذكرت باسم « ملوخوا » اختلفت وجهات النظر حول هويتها ، فبينما يرجح ويلر Wheeler انها تقع في الجزء الادنى من حوض السند يرى فايدنر Weidner انها ربما كانت ظفار وبعض سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية التي كانت مشهورة باللبان والبخور والاحشاب الثمينة . والرأي

المناطق المعروفة في العالم أي شرقي بلاد العرب والهند ، ولكن في الألف الاول ق . م صار الاصطلاح يدل في النصوص الأدبية على الحبشة ( اثيوبية ) وما بعدها . وهناك من يرى أنهما يعنيان بعض البلاد الافريقية التي كانت على اتصال ببلاد الرافدين عن طريق المحيط الهندي<sup>(٥)</sup> .

وتظل الآراء حول هذا الموضوع متضاربة وتتناوب وجهات النظر بخاصة حول موقع ملوखा . فيضع الاستاذنا . جلب ماجان / ماغان عند الساحل الجنوبي من الخليج ، وملوखा عند الساحل الشمالي للخليج مع امتداد متدرج يصل الى نهر الهندوس<sup>(٦)</sup> . ( فيما بعد مشكلة ملوखा ) .

### ثانيا - العلاقات الحضارية :

وعدا عن العلاقات التي كانت تتم عن طريق البحر كانت الصلات التجارية المبكرة بين الشرق العربي وبلاد شبه القارة الهندية تتم كذلك عبر الطريق البرية التي كانت تخترق بلاد الساحل الشمالي للخليج : عيلام وكرمان وبلوچستان .

وكانت عيلام أقرب هذه الاقاليم الى بلاد الرافدين وأشدها تأثرا بها في مظاهر الحضارة المادية وفي نظام الكتابة السمارية الذي طبق على اللغة العيلامية المعروفة منذ الألف الثالث .

السائد هو ان ديلمون هي جزر البحرين أما كريمرفيري انها المنطقة الساحلية من حوض الهندوس<sup>(٣)</sup> . وقد كانت هذه البلاد مطمعا لحكام الدول القوية في مصر وبلاد الرافدين في العصور القديمة فوجهت اليها الحملات العسكرية والبعثات التجارية . وأضحت هذه العلاقات الحضارية تقليدية ومتواصلة ما بين الألف الثالث ق . م الى العصور الكلاسيكية حتى أشار اليها هيروdotus وغيره مثل استرابون الذي ذكر رأس ماكاي Cap Makai الذي يظن بأنه تحريف متأخر لاسم ماجان / ماغان ، ويشير الاسم الكلاسيكي الى رأس مسندم على الساحل الشرقي للجزيرة العربية . وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر فان الدلائل تشير الى أن ديلمون وماغان تقعان على السواحل العربية من الخليج ، ولكن ربما يرتبط اسم ملوखा بأقصى سواحل شرقي شبه جزيرة العرب او بمكان أبعد يمتد الى سواحل الهند عند حوض الهندوس / السند مركز الحضارة القديمة<sup>(٤)</sup> .

ومهما يكن فهناك فرق بين هوية هاتين المنطقتين الجغرافيتين : ماغان وملوखा في الألفين الثاني والاول ق . م . ففي الألف الثاني ق . م كان الاسمان الجغرافيان يعنيان أبعد

وقد أشار الى ذلك عدد من الباحثين وبخاصة ا. جلب I. Gelb الذي ابرز ضمن منظور عام لنشأة الكتابة وتطورها دور عيلام وهي من مناطق الخليج القديمة التي تأثرت بنظام الكتابة المسمارية السومري ثم انتقل هذا التأثير عن طريقها الى الساحل الهندي في أواخر الألف الثالث كما انتقل عن طريق الاتصالات الاخرى<sup>(٧)</sup>. ولكن باحثين آخرين حاولوا من جهة اخرى الحاق اللغة العيلامية باللغات الدرافيدية في جنوب الهند وبلغة البراهوي - وهي لغة ترتبط بهذه المجموعة اللغوية المذكورة ومنها اللغة السائدة حالياً في بلوجستان<sup>(٨)</sup>.

ومما ينبغي ملاحظته أنه منذ الألف الثالث، يبدو انه قامت علاقات وثيقة بين عيلام من جهة وبين موقع تبه يحيى في كرمان وبامبور V في بلوجستان، وكلاهما معا معاصران لأكاد (أواخر الألف الثالث)، من جهة أخرى. وهما موقعان يحتمل أنهما كانا على طريق للمواصلات بين الشرق العربي ووادي الهندوس. وتدل المؤشرات على أن بامبور IV وكولي كانا معاصرين لموقع أم النار، قرب أبوظبي. وينبغي تعقب هذه المؤشرات في نتائج التنقيب الأثري في هذه المواقع للتعرف على الدور المتميز لموقع أم النار في شبكة هذا النشاط

التجاري. وتوضح لنا المؤشرات الأثرية المعروفة من دراسة الفخار اتصال الفعالية الحضارية في هذا الموقع من نحو ٢٩٠٠ - ٢٠٠ ق. م. وعلى مدى مايقرب من ثلاثة آلاف عام ويرجح ان هذا الموقع كان محطة على طريق ماغان كما يمكن أن يتبين من الآثار النحاسية والفخارية<sup>(٩)</sup>.

وإذا ما تتبعنا تطور العلاقات التجارية بين الدول القديمة الواقعة على الخليج العربي والساحل الهندي الغربي لوجدنا المؤشرات والمعطيات التالية:

ففي العصر الأكادي، ومنذ أيام شروكين (النصف الثاني من الألف الثاني) كانت سفن ومراكب تلمون وماغان وملوخوا تأتي لترسو في بلاد أكاد محملة بالبضائع وقد ذكرت هذه البلاد بهذا التسلسل مما يدل على وقوعها على طريق واحد وعلى مسافات متباعدة ومتتابعة<sup>(١٠)</sup>. وإلى هذا العصر وكذلك الى عصر لاحق تعود الأختام الهندية المنشأ المكتشفة في فيلحة الواقعة في شمال الخليج وبعض الاوزان الواردة من حوض الهندوس في البحرين (٢٢٠٠ - ١٧٠٠) كما يؤكد جاد C.J Gadd في دراسته عن هذه الأختام

( C.J.Gadd, Seals of Ancient Indian Style Found at Ur, PBA XVIII PP.191 — 210 )

## العلاقات في عصر أور الثالثة :

كانت مدينة أور عاصمة لدولة كبرى في سومر وبلاد الرافدين ومنطقة الخليج طوال حكم أسرة أور الثالثة التي امتد حكمها منذ سقوط مملكة أكاد الى أواخر الألف الثالث وكان لهذه المدينة دور كبير بعد ذلك في أيام أسرتي آيسن ولارسا بعدئذ . ان وثائق الأسرة الثالثة في أور والتي نشرت في مجموعات النصوص : UR Excavation Texts. UET وبخاصة في الجزء الثالث من المجموعة تذكر المواد المستوردة الداخلة في الحركة التجارية عبر بلاد الخليج العربي وهي مواد هامة مثل النحاس والحجارة الكريمة والعاج والخشب الثمين والطور والاقمشة وغيرها من المواد .

وتوضح النصوص الكثيرة التي درسها الباحثون ميل أوبنهايم في بحثه الهام حول التجار البحرينيين في مملكة أور كثيرا من المسائل حول مواد التجارة والتجار الذين يقومون بها<sup>(١١)</sup> .

وقد تعرف الباحثون على مصدر أكثر هذه المواد فقد كانت ديلمون التي كانت تدعى في أور باسم مشرق الشمس هي مركز الترانزيت الاساسي في الخليج . وكان يجلب النحاس من ماغان ، أما ملوفا فكانت مصدرا

لانواع من الاخشاب والحجارة الكريمة .

ويعود اكثر الوثائق عن هذه الفعالية التجارية بين أور وهذه المناطق الى أيام آخر ملوك أسرة أور الثالثة ابي سين ٢٠٢٧ - ٢٠٠٣ . ففي هذا العصر كانت أور التي كانت تعيش في مرحلة من مراحل ازدهارها ، تستورد النحاس من ماغان مباشرة وكذلك الحجارة الكريمة والتمينة والعاج والخشب النفيس وأشكال الطيور الملونة . وكان يستورد بعض هذه المواد من أماكن بعيدة ثم يعاد تصديره الى دول الرافدين وغيرها . وكان يصدر الى ماغان الصوف والجلود .

ولكن يظهر أن التجارة بين أور ومراكز الخليج الوسيطة اقتصرت في تلك الفترة من أواخر الألف الثالث على التعامل مع تيلمون وماغان نظرا للوضع الداخلية في دول ارض الرافدين ولتعدد المراكز الحضارية . ويبدو أن التعامل مع البلاد الواقعة وراء ماغان ، اي ملوفا أضحي من مجالات اهتمام مدينة رافدية أخرى هي لاجاش . فقد ذكرت ملوفا في نصوص من عصر جوديا ( نحو ٢١٠٠ ) . ويستنتج من أنواع البضائع أن مصدرها من ملوفا ، ومن هذه البضائع : الذهب والمرجان واللازورد ، وهو

Lazuli — Lapis<sup>(١٣)</sup> والمهم انه على الرغم من تعثر ظروف تجارة أور في آخر أسرة أور الثالثة فان بضائع هذه البلاد البعيدة ملوخوا استمرت في الوصول الى أسواق الخليج والى أسواق المدن الرافدية .  
**العلاقات في عصر لارسا :**

وفي نصوص لارسا التي يمكن ان توثق العلاقات بين بلاد الخليج ومناطق الساحل الهندي في المرحلة اللاحقة لانهار أور الثالثة وبخاصة فترة القرن الاول من الألف الثاني ق . م . يرد ذكر أنواع من البضائع المستوردة من ملوخوا وهي الخشب الاسود الذي ينمو في الهند وفي افريقية ، ويمكن أن يكون مصدره أحد هذين البلدين ومايدعى بشجرة نخيل ملوخوا Gis Gisimmar Meluhha . مما يشهد على مصدر النخيل أو على بعض أصنافه . وهناك مقاعد ومناضد من ملوخوا ، وحجر احمر ربما كان من بعض أنواع المرجان وهو معروف بأن مصدره من بلاد تقع في أقصى سواحل الخليج في بلاد العرب وفي بلاد اخرى على سواحل الهند واثيوبية<sup>(١٣)</sup> ومن الواضح ان التعامل التجاري المتكرر مع هذه المواد أضحت تقليديا ومألوفا ، ولكن للإشارة الى اللازورد دلالة خاصة فهذا الحجر الكريم لا يستخرج في بلاد الشرق الا في

المناطق المعروفة باسم أفغانستان وكان يستورد الى سواحل الهند ليصدر منها الى بلاد الخليج ومنها الى بلاد اخرى .

وفي عصر ملوك أسرة لارسا طرأت على التعامل التجاري بين البلاد والدول عوامل جديدة . فانه يبدو أنه نظرا للضعف سلطة أية حكومة مركزية في بلاد الرافدين في آخر أيام أور الثالثة ، ولوقوع تغيرات اجتماعية ملموسة ، انتقلت ادارة التجارة الكبرى الى أيدي رجال بيوتات كبيرة . فكان تاجر يدعى لوانليلا يباشر علاقات تجارية مع ماغان باسم المعبد ، كما حدث أيام حكام لارسا : جوجونوم ١٩٣٢ - ١٩٠٦ ، وابي ساري ١٩٠٥ - ١٨٩٥ ، وسومو ايلوم ١٨٩٤ - ١٨٦٦ ، ثم في أيام ريم سين ١٨٢٢ - ١٧٦٣ .

ومع تقلص دور الدولة عاد الدور الاقتصادي الى المعابد ، فنجد معبدنين - جال يتقبل الأعشار او نسبة ضريبية ما من تجار تيلمون الذين غدت جزيرتهم مركزا عظيما من مراكز التبادل التجاري والحضاري في المنطقة كلها .

وفي أواخر أيام أسرة لارسا كان تاجر من تجار النحاس في ريم - سين ويدعى أيا ناصر / نصير يتعامل مع تيلمون في تجارة النحاس واستيراده وإعادة تصديره . فكان هذا التاجر

يتعامل بأسلوب مختلف عن أسلوب لو  
انليلا ، عندما كان يتاجر لحساب  
القصر والممولين<sup>(١٤)</sup> .

### ثالثا - مشكلة ملوخا :

هل هي منطقة في شبه القارة  
الهندية ؟

كنا ألمحنا الى هذه المشكلة عند  
الحديث عن العلاقات الحضارية بين  
بلاد الخليج وشبه القارة الهندية .  
وهناك نظرات متعددة ومعروفة حول  
هوية هذه البلاد التي دعيت في  
النصوص ملوخا . ان البحث في وثائق  
لارسا والرجوع الى الدراسات التي  
نشرت حولها يقدم براهين عديدة على  
أن ملوخا هي غرب الهند . فاذا كان  
ذلك صحيحا فالمنطقة المعنية هي على  
الأرجح المنطقة الساحلية من حوض  
الهندوس كما يؤكد لوبروتون<sup>(١٥)</sup>  
الذي تحدث عن العلاقات التجارية  
بين لارسا وغرب الهند ، ومعنى هذا  
أن العلاقات التجارية في عصر ملوك  
لارسا لم تتوقف عند تيلمون كما يؤكد  
ليمانس<sup>(١٦)</sup> ولكن يحتمل ان تكون  
تلمون قد قامت بدور الوسيط . والمهم  
ان بضائع ماغان وملوخا استمرت في  
الوصول الى بلاد الخليج وسومر في  
القرنين الاولين من الألف الثاني  
ق . م .

ولئن اختلفت وجهات النظر حول  
هوية ملوخا ، فالأرجح ان هذه البلاد

هي الهند وليست اثيوبية او شرقي  
افريقية ، فان ما ذكر عن احتمال  
مطابقة ملوخا مع النوبة او الحبشة  
يعني ان ذلك قد يكون ممكنا في وقت  
متأخر لافي العصور التي نتحدث  
عنها . ومما يعزز الرأي القائل بأن  
ملوخا هي من مناطق الساحل الهندي  
الغربي الملاحظات التالية :

١ - كانت منطقة دلتا نهر الهندوس  
أقرب الى منطقة الخليج من شرقي  
افريقية ، وهي أقرب الى خليج  
عمان ، ماغان ، من المسافة  
الفاصلة بين سومر وماغان .

٢ - عثر على حجارة كريمة في أور من  
عصر جمدة نصر ، في العصر  
السومري الباكر ، أقرب مصدر  
محتمل لها هو بلاد الهند .

٣ - أثبتت الوثائق وجود علاقات  
تجارية بين الخليج ومنطقة  
حوض الهندوس في اواخر العصر  
السومري وفي العصر الاكادي  
( انظر : Inscriptions

Royales ) وكانت سفن ملوخا  
تصل الى بلاد أكاد وكانت هذه  
السفن مماثلة لتلك السفن التي  
كان يستخدمها الرافديون  
للوصول الى سواحل الهند<sup>(١٧)</sup> .

٤ - وجود اختتام من النموذج الهندي  
في البحرين وبعض مدن سومر  
وأكاد .

٥ - وجد الحجر الاحمر ( المرجان )

في سواحل الهند وكان من مواد التجارة مع ملوخوا ، ويؤكد ليمانس على أهمية هذه المادة بين أور وموهنجودارو . وقد تبين أن هذه الحجارة صقلت بوسائل كيميائية تدل الدلائل على انها تمت في الهند لافي غيرها<sup>(١٨)</sup> .

٦ - وقد لفت جاد C.J. Gadd النظر الى كلمة Meleccha وهي كلمة هندو اوربية . وفي السنسكريتية تستخدم هذه الكلمة للإشارة الى شعوب غريبة الاصل واللغة ، بخاصة تلك الشعوب التي لم تحترم تعاليم الفيدا وطقوسها فكلمة Meleccha تقابل كلمة بربري بالمعنى الكلاسيكي .

وبناء على هذه الملاحظات يطرح ليمانس سؤالاً مفاده : هل تدل ملوخوا على منطقة لم يدخل اليها تأثير الآريين<sup>(١٩)</sup> ؟ وعلى أية حال فان الموضوع تناوله وأشار اليه عدد من الباحثين في بحوثهم ومنهم لاندسبرجر وما يسنر وفايذنر وكريمز وببيي وغيرهم<sup>(٢٠)</sup> .

**رابعا - دور بلاد الخليج في التجارة الخارجية لدول الرافدين الجنوبية في العصر البابلي القديم :**

لم تتجاوز حدود التجارة الخارجية لدول الرافدين نحو الجنوب جزيرة

البحرين تيلمون Tilmun التي كانت مركز تجارة ترانزيت هامة عبر خطوط بحرية<sup>(٢١)</sup> . فقد كانت تيلمون محطة للتجارة بين ملوخوا وماغان ومنطقة جنوبي بلاد الرافدين . وكان هناك خط تجاري آخر بين تيلمون وماري ، لكن هذه الاتصالات لم تكن لتتم بسهولة . ففي رسالة ارسلها يشمخ أدو حاكم ماري ( انظر : ARM V 14 ) يشكو فيها الى حمورابي المصاعب التي واجهها ارسال بعثة الى تيلمون . ومعنى هذا ان مدى اتصال تجارة محطات الخليج العربي كان يرقى شمالا الى ماري المركز التجاري الكبير على الفرات الاوسط .

ففي وثيقة من نصوص ماري مايشير الى رسل من ديلمون الى ماري ، وتسلم بعضهم في شباط انليل هدايا بأمر من الملك شمش أدر اشتملت على هدايا ومواد مختلفة مثل زيت السمسسم والصناديق الخشبية والصنادل ( ARM / I 17 ) وكانت ماري تتعامل مع المدن الاخرى لحماية القوافل كما ذكر في رسالة تضمنت ان يشمخ دجن ارسل قافلة الى تيلمون ولكن ايلي ايبوخ اعترض سبيلها ، ولذا يتوسط يشمخ دجن لدى حمورابي للمساعدة على وصول البعثة الى مقرها<sup>(٢٢)</sup> .

وتشير نصوص اخرى الى استمرار العلاقات بعد حمورابي والاسرة البابلية بين ماري ومنطقة الجنوب

الهندوس . وتدل المؤشرات التاريخية على احتمال انقطاع العلاقات التجارية بين بابل وملوخوا في العصر الكاشي . ان ان نصوص العمارة ( القرن الرابع عشر ق.م ) تبين ان مواد مثل العاج والخشب مما كان يستورد في السابق من الهند صار يستورد من مصر او عن طريقها ليحمل من هناك الى بابل / كاردونياش وأشور وميتاني . وربما لهذا السبب صار يطلق اسم ملوخوا على البلاد المصدرة لهذه المواد حسبما كان مألوفاً في السابق أي بالنسبة الى مصر على النوبة والحبشة . فملوخوا بهذا المعنى هو اسم عام اطلق خلال التاريخ على محيط جغرافي واسع ، وحسب الظروف التاريخية ، على اماكن جغرافية تقع في جنوب ماغان ووراءها وتمتد ما بين الهند والحبشة . ومن المحتمل كذلك انه عندما عاد الكتاب الرافديون في العصر الأشوري الحديث ( ١٠٠٠ - ٦٠٠ ق.م ) ، الى التحدث عن ماغان وملوخوا اطلقوا على كل البلاد الساحلية بعد الخروج من الخليج العربي اسم بلاد ماغان وملوخوا اي السواحل المتجهة الى الهند وكذلك السواحل الجنوبية من شبه الجزيرة العربية باتجاه النوبة ومصر .

الاستاذ الدكتور محمد حرب فرزات  
استاذ تاريخ الشرق الادنى القديم  
جامعة دمشق

الرافدي . وكانت تتمتع بدور متفوق في التجارة الدولية لكونها مركز تجارة القصدير المستورد من الشرق عن طريق ساحل ايران الجنوبي وعيلام ، ليعاد توزيعه بعد ذلك من ماري الى مناطق أخرى . ولايستبعد لانديسبرجر ان يكون الحزام القصديري في بورما وسيام وملايو مصدرا للقصدير المستورد الى بلاد الرافدين . وكانت هذه المواد الاولية تصل الى ماري عن طريق بلاد الخليج<sup>(٢٣)</sup> . وقد وجد ان التراب الحديدي الاحمر وجد في قصر ماري مستخدماً في الطلاء ، وهناك احتمال بأن يكون قد استورد من ماغان كما يذكر بارو وليمانس<sup>(٢٤)</sup> .

وقد أشار نص وحيد من نصوص ماري ( ARM II, 47 ) الى استخدام اخشاب من ماغان في صناعات خشبية ، ويحتمل ان خشب ماغان كان نادر الوجود في ماري<sup>(٢٥)</sup> .

### خاتمة :

ان التغير في العلاقات بين بلاد الرافدين وبلاد الخليج من جهة ، وشبه القارة الهندية من جهة اخرى نجم عن التغيرات في وادي الهندوس وفي مناطق ماغان وملوخوا . ويبدو ان العلاقات التجارية انقطعت بعد ان ضعف الحكم في بابل بعد حمورابي وشمش ايلونا وتخلي ملوك بابل عن الجنوب حوالي ١٧٤٠ . ويقدر انه في هذه الفترة كانت هناك حضارة وادي